

بسم الله الرحمن الرحيم  
المصباح المنير في تهذيب تفسير ابن كثير  
سورة القمر من الآية ٢٣ إلى الآية ٤٠  
الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، قال المفسر رحمة الله تعالى - في تفسير قوله تعالى: **{كَذَّبُتْ ثَمُودَ بِالنُّذُرِ \* فَقَالُوا أَبْشِرَا مِنَا وَاحِدًا نَتَبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٍ \* أَوْلُقِي الْذَّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَنَا بِلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشَرٌ \* سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنَ الْكَذَّابِ الْأَشَرِ \* إِنَّا مُرْسِلُ النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبُهُمْ وَاصْطَبِرْ \* وَتَبَّهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٍ \* فَنَادُوا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ \* فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنَذْرِ \* إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صِيَحَّةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمَ الْمُحْتَظِرِ \* وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُذَكَّرٍ}** [سورة القمر: ٢٣-٣٢].

وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالح - عليه الصلاة والسلام - **{فَقَالُوا أَبْشِرَا مِنَا وَاحِدًا نَتَبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٍ}**، يقولون: لقد خربنا وخسرنا إن سلمنا كُلُّنا قيادنا لواحد منا. ثم تعجبوا من إلقاء الوحي عليه خاصة من دونهم، ثم رموه بالكذب فقالوا: **{بِلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشَرٌ}** أي: متجاوز في حد الكذب.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاه والسلام على رسول الله، أما بعد:  
قوله - تبارك وتعالى -: **{كَذَّبُتْ ثَمُودَ بِالنُّذُرِ}** النذر: هذه اللفظة جاءت بصيغة الجمع، وهو لاء القوم كذبوا النبيهم الذي بعثه الله - عز وجل - إليهم وهو صالح - عليه الصلاة والسلام - ولم يأتهم النبي سواه، فكيف ذكر الله - تبارك وتعالى - النذر، وإنما كذبوا نذيرًا واحدًا؟ والجواب عن هذا من وجهين:  
الوجه الأول: هو أن من كذبنبياً واحداً فكانما كذب جميع المرسلين، كما قال الله - عز وجل -: **{كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحِ الْمُرْسَلِينَ}** [سورة الشعراء: ١٠٥]، ونوح - عليه الصلاة والسلام - قطعاً هو أول رسول، ومع ذلك أضاف إليهم أنهم كذبوا المرسلين، فهذا وأشباهه يحمل على هذا المعنى، من كذب واحداً فهو مكذب بالجميع، ولهذا قال: **{لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ}** [سورة البقرة: ٢٨٥]، وهكذا في الموضع الآخر: **{وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِعَضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيَرِيدُونَ أَنْ يَتَخَذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا \* أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًا}** [سورة النساء: ١٥١-١٥٠] فهذا جواب في هذا الموضوع.

الوجه الثاني: هو أن "النذر" مصدر يعني كذبوا بالأيات والندارة التي جاءتهم على يدنبيهم - عليه الصلاة والسلام - كذبوا بالأيات التي أنذرهم الله - تبارك وتعالى - بها، فإن هذه الآيات هي نذر، والله - عز وجل - يقول: **{وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا}** [سورة الإسراء: ٥٩] فأخرج الله - عز وجل - لهم ناقة عظيمة عشراء آية فكذبوا بها، وعقروها، ولم يؤمنوا بما جاءهم بهنبيهم - صلى الله عليه وسلم - من دلائل صدقه وأمارات نبوته ورسالته.

وقوله -تبارك وتعالى-: **{فَقَالُوا أَبْشِرَا مِنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٌ}.**  
 يقول الحافظ ابن كثير: "وهذا إخبار عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم صالحًا **{فَقَالُوا أَبْشِرَا مِنَا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٌ}**، يقولون: لقد خربنا وخسرنا."

و"السعر" **{إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٌ}** بعض أهل العلم فسره بالعناء والشقاء والعذاب، **{إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٌ}** يعني: إذا اتبعنا واحدًا فنحن في عناء وشقاء وعذاب وشدة، وبطريق السعر أيضًا على لهب النار، **{إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٌ}** وهذا في الواقع يرجع إلى المعنى الأول؛ لأنهم لا يقصدون أنهم في ضلال وسعير في الآخرة، وإنما يصفون حالهم إن اتبعوا صالحًا -عليه الصلاة والسلام- فالذى يعيش في عناء وشقاء فإن ذلك يورث ضيقًا وحرارة وألمًا كحرارة النار وإيلامها وشدتها، فهذا يرجع في الواقع إلى المعنى السابق، وهذا قول من قال: **{إِنَّا إِذَا لَفِي ضَلَالٍ وَسَعْرٌ}** أي: احتراق، فالذين قالوا: لهب النار، والذين قالوا: احتراق فسروا اللفظة بمعناها المتأخر، والمقصود بهذا الاحتراق هو راجع إلى القول الأول الذي ذكرناه، وأقول القول الأول تجوزًا؛ لأن هذه في الواقع يمكن أن ترجع إليه، فلا يحتاج إلى الترجيح بينها، يقولون: إن اتبعناه فنحن في حال من العناء والشقاء، فعبروا بهذه اللفظة؛ لدلائلها على هذا المعنى، وبعضهم يقول: السعر هو الجنون، وهم استبعدوا اتباع نبي، وأضافوا إلى أنفسهم: إن هم اتبعوا أنهم في حال غير طبيعية، يقولون: هذا لا يمكن، وبهذا نكون في ضلال أي ذهاب عن الحق، فأصل الضلال هو الذهاب عن حقيقة الشيء، ومنه قوله -تبارك وتعالى- في سورة يوسف عن قول إخوة يوسف لأبيهم يعقوب -عليه الصلاة والسلام-: **{إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَدِيمٍ}** [سورة يوسف: ٩٥] فلو كانوا يقصدون أنه ذاهب عن الحق مطلقاً كانوا كفاراً بذلك، وإنما يقصدون أنه ذاهب عن حقيقة ما وقع ليوسف -عليه الصلاة والسلام-، فهو لاء ذاهبون عن الحق، ولهذا يقال لمن قُبر ودُفن: إن دافنه قد أضلوه.

فَآبَ مُضْلُّوهِ بَعْنَى جَلِيلٍ \* \* وَغُودُرَ بِالْجَوَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ

يعني: دافنوه أضلواه، ومنه قولهم: ضل الماء في اللبن يعني اختلط وذهب، وتحلل فيه فلم يعد متميزاً عنه. وقوله: **{أَوْلَقَيَ الذَّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنَنَا بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ}** كيف يلقى عليه الوحي والنبوة من بيننا؟ ما مزيته؟ **{بَلْ هُوَ كَذَابٌ أَشَرٌ}** الأشر هذه اللفظة تأتي بمعنى التكبر والبطر، وهذا قول من فسرها بأن المراد بها الفرح، والمقصود به ليس مطلق الفرح، وإنما الفرح الذي يورث الأشر والبطر؛ ولهذا قال الله -عز وجل- في قصة قارون حينما قال أولئك الذين ذكروا من أعجب به وتمني مكانه وذكروه هو قالوا له: **{لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ}** [سورة القصص: ٧٦] فالفرح معلوم أنه ثلاثة أنواع: الفرح الذي يحبه الله -عز وجل- ويؤجر الإنسان عليه، **{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا}** [سورة يونس: ٥٨]، والفرح المباح في الأمور المباحة، والفرح المحرم بهزيمة المسلمين واندحارهم وما أشبه ذلك، فهذا قالوا: **{كَذَابٌ أَشَرٌ}** فالفرح الذي

يَحْمِلُ عَلَى الْبَطْرِ مَحْرَمٌ، وَهَذَا قَوْلُ مَنْ قَالَ: هُوَ الْبَطْرُ الْمُتَكْبِرُ {كَذَّابٌ أَشَرٌ} وَفِي الْحَدِيثِ فِي الدُّعَاءِ: (إِنَّمَا أَخْرَجَ أَشَرًا وَلَا بَطْرًا) <sup>(١)</sup>.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنِ الْكَذَّابِ الْأَشَرِ} وَهَذَا تَهْدِيدٌ لَهُمْ شَدِيدٌ وَوَعْدٌ أَكِيدٌ.  
قَوْلُهُ: {سَيَعْلَمُونَ غَدًا مِنِ الْكَذَّابِ} الْعَرَبُ تَطْلُقُ الْغَدَ بِإِطْلَاقِيْنِ:

الإِطْلَاقُ الْأَوَّلُ: عَلَى الْيَوْمِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَ لَيْلَتِكُ، الْيَوْمِ الْقَرِيبِ، غَدًا الْأَرْبَاعَ مَثَلًا.  
وَالإِطْلَاقُ الثَّانِي: بِمَعْنَى الْمُسْتَقْبِلِ {سَيَعْلَمُونَ غَدًا} وَهَذَا هُوَ الْمَرَادُ، {مِنِ الْكَذَّابِ الْأَشَرِ} إِذَا جَاءَ الْعَذَابُ، أَوْ  
فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، فَيَعْبُرُونَ بِذَلِكَ إِشْعَارًا بِالْقَرِيبِ، بِقَرْبِ الْوَقْتِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {إِنَّا مُرْسِلُ النَّاقَةَ فِتْنَةً لَهُمْ} أَيْ: اخْتَبَارًا لَهُمْ؛ أَخْرَجَ اللَّهُ لَهُمْ نَاقَةً عَظِيمَةً عَشْرَاءِ مِنْ صَخْرَةِ

صَمَاءَ طَبَقَ مَا سَأَلُوا، لَتَكُونَ حَجَةً اللَّهِ عَلَيْهِمْ فِي تَصْدِيقِ صَالِحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى آمِرًا لِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ صَالِحٍ: {فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ} أَيْ: انتَظِرْ مَا يَئُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُمْ، وَاصْبِرْ  
عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لَكُمْ وَالنَّصْرُ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، {وَنَبْتَهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بِيَتْهُمْ} أَيْ: يَوْمُ لَهُمْ وَيَوْمُ  
لِنَاقَةٍ؛ كَوْلُهُ: {قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شَرْبٌ وَلَكُمْ شَرْبٌ يَوْمٌ مَعْلُومٌ} [سُورَةُ الشَّعْرَاءِ: ١٥٥].

وَقَوْلُهُ: {كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ} قَالَ مجَاهِدٌ: إِذَا غَابَتْ حَضَرُوا الْمَاءَ، وَإِذَا جَاءَتْ حَضَرُوا الْلَّبَنِ.

قَوْلُهُ: {كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ} مُحْتَضَرٌ مِنَ الْحَضُورِ، وَيَبْقَى الْمَرَادُ بِالْحَضُورِ، هُنَا نَقْلٌ عَنْ مجَاهِدٍ قَوْلُهُ: "إِذَا  
غَابَتْ حَضَرُوا الْمَاءَ" فَهِيَ نَوْبَتِهِمْ، "وَإِذَا جَاءَتْ حَضَرُوا الْلَّبَنِ" مُحْتَضَرٌ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ يَحْضُرُونَ فِي كُلِّ يَوْمٍ،  
هُنَاكَ يَوْمٌ لِلْمَاءِ، وَيَوْمٌ لِلْلَّبَنِ {كُلُّ شَرْبٍ مُحْتَضَرٌ}، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمَرَادُ أَنَّ النَّاقَةَ تَحْضُرُ يَوْمًا لِلْمَاءِ، وَهُمْ  
يَحْضُرُونَ يَوْمًا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: {فَنَادَوْا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: هُوَ عَاقِرُ النَّاقَةِ، وَاسْمُهُ قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ، وَكَانَ  
أَشْقَى قَوْمِهِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ آخَرَ: {فَعَقَرُوا النَّاقَةَ} [سُورَةُ الْأَعْرَافِ: ٧٧]، وَقَالَ: {فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا} [سُورَةُ  
الشَّمْسِ: ١٤] فَأَضَافَ الْعَقْرَ إِلَيْهِمْ جَمِيعًا، وَهُنَّا أَضَافُ الْعَقْرَ لِوَاحِدٍ فَقَالَ: {فَتَعَاطَى فَعَقَرَ} فَدَلِيلُ ذَلِكَ عَلَى أَنَّهُمْ  
تَمَالَّوْا عَلَى عَقْرِهَا فَأَضَيَّفُوا ذَلِكَ إِلَيْهِمْ، فَهَذَا وَجْهُ الْجَمْعِ بَيْنَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ مَا يَبْيَنُهُ، وَقَوْلُهُ:  
**{فَنَادَوْا صَاحِبِهِمْ فَتَعَاطَى فَعَقَرَ}** هَذَا أَحِيمَرٌ ثَمُودِيُّ الْذِي عَقَرَهَا، وَالْمُؤْرِخُونَ يَذَكُّرُونَ فِي هَذَا خَبْرًا هُوَ -وَاللَّهُ أَعْلَمُ-  
مِنَ الْأَخْبَارِ الإِسْرَائِيلِيَّةِ، يَقُولُونَ: امْرَأَةٌ كَانَ عَنْهَا بَنَاتٌ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ، وَكَانَ عَنْهَا نَعْمَ كَثِيرٌ  
فَتَضَرَّرَتْ بِسَبِيلِ هَذِهِ النَّاقَةِ؛ لَا تَرَدَ هَذِهِ الْأَنْعَامُ إِلَّا يَوْمًا بَعْدِ يَوْمٍ فَضَاقَ بِهَا ذَلِكُ، وَأَغْرَتْهَا هَذَا أَنْ تُزْوِّجَهُ وَأَنْ  
تُخِيرَهُ مِنْ بَنَاتِهَا مَا شَاءَ إِنَّهُ عَاقِرٌ النَّاقَةِ، هَذَا قَبِيلٌ، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا وَقْدَ لَا يَكُونُ، فَهُؤُلَاءِ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَ-

١- رواه ابن ماجه، كتاب المساجد والجماعات، باب المشي إلى الصلاة، رقم (٧٧٨)، عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: ((مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلَاةِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَأَسْأَلُكَ  
بِحَقِّ مَشَايِّي هَذَا، فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا وَلَا بَطْرًا وَلَا رِبَاءً وَلَا سَمْعَةً، وَخَرَجْتُ اتِّقاءً سُخْطَكَ وَابْتِغَاءً مَرْضَاتِكَ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ  
تَعِينَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ -أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوجْهِهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعَوْنَ أَلْفَ مَلَكًا)، وَأَحْمَد  
فِي الْمَسْنَدِ، بِرَقْمِ (١١١٥٧)، وَقَالَ مَحْقُوقُهُ: إِسْنَادُهُ ضَعِيفٌ، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ: ضَعِيفٌ جَدًا. السَّلْسَلَةُ الْمُضَعِّفَةُ بِرَقْمِ (٦٢٥٢).

أضاف ذلك إليهم، فهم فعلوا ذلك تجبراً وتكبراً ومحادة لله -سبارك تعالى- ولهذا قال الله -عز وجل- في سورة الأعراف: **{فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحٌ إِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ}** [سورة الأعراف: ٧٧] تحدوه بهذا: هات العذاب.

قوله: **{إِذْ أَنْبَعْتَ أَشْقَاهَا}** [سورة الشمس: ١٢]، **{فَتَعَاطَى}** أي: فجسر.

لفظة "تعاطى" في أصل معناها في كلام العرب تدل على تكفل في تناول الشيء وأخذه، يعني: كأنه قام بتدارير وأعمال حتى عقرها، والمؤرخون يذكرون أشياء منها أنه كمن لها في أصل صخرة أو في أصل شجرة -كانت ناقة عظيمة- فضرب عضلة ساقها، رماها بسهم، ثم شد عليها بالسيف.

**{فَعَقَرَ \* فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}** أي: فعاقبهم، فكيف كان عقابي لهم على كفرهم بي وتكذيبهم رسولي؟ **{وَنُذُرِ}** يمكن أن تفسر بأنها مصدر، يعني وإنذاري، أو نذري، كيف كان عذابي وإنذاري لهم؟، يعني: يمكن أن تكون بمعنى الجمع، ويمكن أن تفسر بمعنى المصدر، يعني وإنذاري.

**{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهْشِيمَ الْمُحَتَظِرِ}** أي: فبادروا عن آخرهم لم تبق منهم باقية، وحمدوا وهدوا كما يهد ويبس الزرع والنبات، قاله غير واحد من المفسرين، والمحظر: قال السدي: هو المرعى بالصحراء حين يبس ويحترق وتسفيهه الريح.

وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حظاراً على الإبل والمواشي من يبس الشوك، فهو المراد من قوله: **{كَهْشِيمَ الْمُحَتَظِرِ}**.

**{كَهْشِيمَ الْمُحَتَظِرِ}** يقول: قاله غير واحد من المفسرين، يعني: خدوا وهدوا كما يهد ويبس الزرع والنبات، قالوا المحظر، قال السدي: هو المرعى بالصحراء حين يبس ويحترق وتسفيهه الريح، وقال ابن زيد: كانت العرب يجعلون حظاراً على الإبل والمواشي من يبس الشوك.

فهو المراد هنا، وكثير من المفسرين يفسرون **{الْمُحَتَظِرِ}** بالنبات الذي قد يبس وتفتت، وإن اختلفت عباراتهم في التعبير عن هذا المعنى، **{كَهْشِيمَ الْمُحَتَظِرِ}** فمن قائل بأن ذلك كالنبات والشوك الذي يوضع سياجاً على الدواب يمثل حظراً عليها، يعني حظيرة، بمعنى أنه بديل عن وضع الشبك مثلاً، قد لا يكون عنده هذا، أو لأنه في مكان يترحل فيه من الشوك ما يمثل حاجزاً يحجز هذه الدواب، **{كَهْشِيمَ الْمُحَتَظِرِ}** فهذا يبس على الشجر ويتفتت ويتهشم، فصاروا كهشيم المحظر، وبعضهم يعبر عنه بأنه **{كَهْشِيمَ الْمُحَتَظِرِ}** مثل النبات الذي في الصحراء حينما يبس ثم بعد ذلك تسفيهه الريح، ويتفتت فصاروا بهذا المثابة، وبعضهم يفسر **{الْمُحَتَظِرِ}** بصاحب الحظيرة، الذي يضع حظاراً على غنه فلا يتسلط عليه، فهو هشيم، يعني: جعلوا المحظر هو صاحب الحظيرة، فحينما يضع هذا السياج ويحصل له ما يحصل مع الوقت، وذلك كله يرجع إلى معنى متقارب وهو ما يفتت من النبات ويتهشم سواء الذي يضعه صاحب الحظيرة حظاراً، أو ما يكون في أرض الحظيرة تطأه هذه الدواب، أو ما يكون في الصحراء من النبات الذي يبس ثم بعد ذلك كما قال الله -عز وجل-: **{مَثَلَ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا كَمَاءُ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَلَخْتَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوْهُ الرِّيَاحُ}** [سورة الكهف: ٤٥] وهذا الهشيم، والله أعلم.

**{كَذَّبُتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنَّذْرِ \* إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرٍ \* نِعْمَةٌ مِنْ عِنْدِنَا كَذَّلِكَ نَجْزِي  
مِنْ شَكَرَ \* وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنَّذْرِ \* وَلَقَدْ رَأَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي  
وَنَذْرِ \* وَلَقَدْ صَبَّحُهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُسْتَقْرٌ \* فَذُوقُوا عَذَابِي وَنَذْرِ \* وَلَقَدْ يَسَرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُذَكَّرٍ}**

[سورة القمر: ٤٠ - ٣٣].

يقول تعالى مخبرا عن قوم لوط -عليه السلام- كيف كذبوا رسولهم وخالفوه، وارتکبوا المکروه من إتیان الذکور، وهي الفاحشة التي لم يسبقهم بها أحد من العالمين؛ ولهذا أهلكهم الله هلاكا لم يهلكه أمة من الأمم، فإنه تعالى أمر جبريل -عليه السلام-، فحمل مدائنه حتى وصل بها إلى عنان السماء، ثم قلبها عليهم وأرسلها، وأتبعت بحجارة من سجيل منضود؛ ولهذا قال هاهنا: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا}** وهي: الحجارة.

وهنا يقال كما في الموضع السابق **{كَذَّبُتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنَّذْرِ}**، وكذلك ما سيأتي من قوله: **{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ}** [سورة القمر: ٤١] بالآيات المنذرة التي تنتذرون من عذاب الله -عز وجل- ونقمته، وكل موضع يفسر بحسبه، يعني هنا في قوله: **{كَذَّبُتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنَّذْرِ}** كما سبق في ثمود **{كَذَّبُتْ ثَمُودَ بِالنَّذْرِ}**، وفي فرعون **{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ}** يمكن أن يفسر بالآيات التي جاءهم بها موسى -صلى الله عليه وسلم- وهي تسع آيات بينات، فكانت النتيجة أن قال له فرعون: **{إِنِّي لَأَظُنُكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا}** [سورة الإسراء: ١٠١]، ويمكن أن يكون هناك باعتبار أن أقل الجمع -عند بعض أهل العلم وهو قول الإمام مالك -رحمه الله- اثنان، كما قال الله -سبحانه وتعالى-: **{الْحَجَّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ}** [سورة البقرة: ١٩٧] وهي شوال ذو القعدة وبعض ذي الحجة على قول طائفة كبيرة من أهل العلم، وكذلك **{فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلَامِهِ السُّدُسُ}** [سورة النساء: ١١]، والأم تحجب حجب نقصان من الثالث إلى السادس باثنين وهكذا، قال في المرادي:

أقل معنى الجمع في المشتهر\*\* اثنان عند الإمام الحميري

السميري هو الإمام مالك -رحمه الله-، فيمكن أن يكون باعتبار أنه جاءه موسى وهارون، فقال الله -عز وجل-: **{وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ}** فجمع باعتبار أن أقل الجمع اثنان، والله أعلم.

**{إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحْرٍ}** أي: خرجوا من آخر الليل فنجوا مما أصاب قومهم، ولم يؤمن بلوط من قومه أحد ولا رجل واحد حتى ولا امرأته، أصابها ما أصاب قومها، وخرج النبي الله لوط وبنات له من بين أظهرهم سالما لم يمسسه سوء؛ ولهذا قال تعالى: **{كَذَّلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ \* وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا}** أي: ولقد كان قبل حلول العذاب بهم قد أنذرهم بأس الله وعداته، فما التفتوا إلى ذلك، ولا أصغوا إليه، بل شكوا فيه وتماروا به.

هنا قال: **{كَذَّبُتْ قَوْمٌ لُوطٍ بِالنَّذْرِ}** هذا التكذيب أطلقه الله -سبحانه وتعالى-، فهم كذبوا نبيهم -عليه الصلاة والسلام- وتمالئوا عليه، وأرادوا إخراجه **{أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرِيرَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}** [سورة النمل: ٥٦]، وبعض أهل العلم يقول: بالتتبع لجميع المواقع التي ذكر فيها قوم لوط، يقول: ما خاطبهم لوط -صلى الله عليه وسلم- بالتوحيد، فقال بعضهم: إن هؤلاء لم يكن عندهم شرك لكن كانت عندهم هذه الفاحشة، وهذا ليس بلازم، فالله -عز وجل- يذكر من خبر هؤلاء الأمم والأقوام المهلكة ما يذكر لحكمة

يقتضيها المقام، فهو لاء جاءوا بأول ذنب كبير اختر عوه وابتدعوه لم يسبقوا إليه فنکروا به، لكن هذا لا يعني أنه ما عندهم شرك! ناس يفعلون هذا ويتخذونه بدلاً لما أحله الله -عز وجل- لهم، ويکابرون غایة المکابرة، ويصررون عليه، ويکذبوننبياً من أنبياء الله تبارک وتعالى، فهو لاء لا يسلمون من الشرك، ولو لا فساد عقائدهم ما حصل منهم هذا الاستکبار والعنو على الله -عز وجل- إلى هذا الحد **{أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتُكُمْ}**

**{إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ}** فكونه لم يذكر الخطاب بالتوحيد لا يعني أنه ما كان عندهم شرك، والله أعلم.

**{وَلَقَدْ رَأَوْدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ}** وذلك ليلة ورد عليه الملائكة: جبريل، وميكائيل، وإسرافيل -عليهم السلام- في صورة شباب مُرد حسان محنَة من الله بهم، فأضافهم لوط -عليه السلام- وبعثت امرأته العجوز السوء إلى قومها، فأعلمتهم بأضيف لوط، فأقبلوا يُهَرِّعون إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، فأغلق لوط دونهم الباب، فجعلوا يحاولون كسر الباب، وذلك عشية، ولوط -عليه السلام-، يدافعهم ويمانعهم دون أضيفاته.

النبي بالنسبة لقومه بمنزلة الوالد والأب، والأبوة معروفة أنها نوعان: أبوة تربية، وأبوة ولادة، والنبي بمنزلة الوالد لقومه، ولهذا جاء في القراءة غير المتواترة قراءة أبي وقراءة ابن عباس {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وأزواجه أمهاتهم}، وفي القراءة الثانية {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم}، ويقول: هؤلاء بناتي يعني بناة القبيلة، والمعنى الثاني: أنه قال: هؤلاء بناتي فتروجوهن، استغنو بذلك عما حرم الله، لكن لا يمكن لأحد أن يفهم أنه يعرض بناته ليفرجوا بهن، هذا لا يمكن ولا يقع من أحد الناس فضلاً عن أن يقع من النبي كريم، فأعظم الناس غيرة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام.

ويقول لهم: **{هُؤُلَاءِ بَنَاتِي}** يعني: نساءهم، **{إِنْ كُنْتُمْ فَأَعْلَمْ}** [سورة الحجر: ٧١]، **{قَالُوا لَقَدْ عِلِّمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ}** أي: ليس لنا فيهن أرب، **{وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ}** [سورة هود: ٧٩] فلما اشتد الحال وأبوا إلا الدخول، خرج عليهم جبريل -عليه السلام-، فضرب أعينهم بطرف جناحه، فانطممت أعينهم. يقال: إنها غارت من وجوههم.

يعني في قوله **{فَطَمَسْتَ أَعْيْنَهُمْ}** يحتمل أن يكون بمعنى العمى، أخذت الأ بصار، وظاهره يدل على ما هو أبلغ من هذا، يعني أنها صارت الوجه صفة واحدة ليس فيها شق للعيون أصلاً! ذهبت، وهذا الذي اختاره ابن جرير -رحمه الله.

وقيل: إنه لم تبق لهم عيون بالكلية، فرجعوا على أدبارهم يتحسسون بالحيطان، ويتوعدون لوطا -عليه السلام- إلى الصباح.

قال الله تعالى: **{وَلَقَدْ صَبَّحُهُمْ بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌ}** أي: لا محيد لهم عنه، ولا انفكاك لهم منه، **{فَذُوقُوا عَذَابِي وَتُنْذَرِ}** \* **{وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهُلْ مِنْ مُّدَكِّرٍ}**.